(المدى) مدت له يدها البيضاء

بعد عام على حرقه .. المتنبي ينهض من رماده

محمد درويش علي

يعود بي اليوم الى العام الماضي في ٥ / ٣ / ٢٠٠٧ ، حينما دقت الساعة الحادية عشرة بتوقيت الموت الزؤام في شارع المتنبي، اذ تناثرت الاشلاء واحترقت الكتب، وهدت البنايات، لم يكن يوماً عادياً في تأريخنا نحن الذين أدمنا على هذا الشارع / السوق ، واصبح بمرور الايام حاضنة لأوجاعنا وذكرياتنا وآمالنا الموؤدة على طول الزمن.

هل استطيع ان انسى كيف مات القاص يوسف الحيدري عام ١٩٩٣ ، حينما اعاد مخطوطة رواية "سابع ايام الخلق" لعبد الخالق الركابي، وهو يقول له: انت روائي كبير، حافظ على نفسك، وبعدها غادر الحياة؟ هل استطيع نسيان الاديب والكاتب الراحل عزيز السيد جاسم وهو يجلس على كرسي بباب مكتبة الشطري ، ونذهب لنسلم عليه؟ هل استطيع نسيان احمد خلف وهو يقف متحدياً سنوات الحصار امام كتبه في بداية الشارع؟ هل استطيع نسيان حميد المختار يقف مع ابنه زيدون ليعاند كل شيء ، بمجموعة كتب ليتواصل مع الحياة؟.

اما لطيف الراشد فكان ملح السوق وهو يتنقل بمجلاته وكتبه ، مرة في نهاية السوق، ومرة في بداية السوق ، وينقل اخبار الاصدقاء الينا، وهل استطيع نسيان سلمان داود بسيكارته الابدية وكتبه التي يضعها امامه على الطاولة في مقهى الشابندر.وهل انسى ضيافة جلال حسن وهو يجالسني على كرسيه الوحيد وهو يردد "العيشة صعبة خويه " لن انسى (ابو وسام) حينما يقودني الى كتاب ويقول: اليس هذا مهما؟! ولاانسى سليم عبود الذي اختار جوار فولكتر ملاذاً له ولعائلته وروايته "أوبة الهدهد" ، هل استطيع نسيان الراحل سلمان عدنان بوجهه الجميل وهو يقول: "هله ابو جاسم تفضل"..وهنالك الستاران حقيقة وستار الاخر،والحنش وابو سوران وزيارة وابو جعفر ، وجعفر ومحمد ثامر والرائع حنون مجيد وعلي مزاحم عباس الذي لااعرف اين حل به الدهر بعد ان فقد السمع والحركة وانهالت عليه الامراض.ولا انسى صديقي عباس لطيف وهو يعد احمد خلف بان يكتب عنه، وبعدها يكتب عن الراحل التكرلي. وهنالك المئات من الاسماء التي طرزت هذا الشارع وجعلت منه اسماً نتباهى به، وفي السنوات الاخيرة، كان لنا لقاء غير متفق عليه انا وجمال كريم المتوقد حباً للابداع. وشاكر الانباري بروايته الجميلة وسهيل ياسين ، وزهير رضوان وكنا نختار يوم الخميس للقاء هناك ، لان الجمعة يوم حظر تجوال حتى الساعة الثالثة بعد الظهر.

ارادوا ان يغتال كل هذا التاريخ بسيارة مفخخة بالحقد والقنابل وارادوا ان يطفئوا هذه الشعلة ، شعلة الثقافة والادب شعلة التاريخ، التاريخ بالتأكيد لن يذكر ابداً من فجر السوق ، ولكن يذكر يفخر شهداء السوق، ومن يقف وراء اعادته الى الحياة. الان وبعد عام على حريقه ينهض من جديد سوق المتنبي ، وهو يطرز آفاق الابداع العراقي بكل ماهو جديد في عالم الفكر والمعرفة والرواية والشعر واستحدثت منافذ جديدة للاطلالة على الكتب القديمة مثل ديوان الجواهري وتاريخ العشائر لعباس العزاوي، وعشرات الكتب الاخرى، بعد ان يجري استنساخها بطرق جديدة تباع في السوق وتوزع على المكتبات الاخرى والاقبال كبير عليها.

يد المدى البيضاء

وكعادتها لم تقف مؤسسة المدى امام هذا الحدث المهم، مكتوفة الايدي، وانما مدت يدها البيضاء لعوائل الشهداء والمتضررين من اصحاب المكتبات والذين بلغ عددهم (٣٧) فرداً مابين متضرر وشهيد، وكان هذا الموقف له صداه الطيب بين اوساط المثقفين والكتبيين وعدوه من المواقف الوطنية والانسانية التي اشاعت الطمأنينة في نفوسهم ، وجعلتهم يصرون على الاستمرار في اشاعة الثقافة والفكر الرصينين وبالفعل عادوا وبتحد هذه المرة ، لمواجهة كل شيء يحاول ان يقف ضد مسيرتهم في اعلاء شأن الثقافة ، كونهم يمثلون حلقة وصل مابين الثقافة والقارئ ومابين الكلمة ومتلقيها، علما ان الكثيرين من هؤلاء الباعة يحملون شهادات عليا في الاداب والفنون ويعمل قسم اخر منهم في المجال الاعلامي ويتواصلون مع كل صغيرة وكبيرة في حياة المجتمع. ولم تتوقف (المدى) عند هذه المحطة فقط، وانما اقامت نهارها (التاسع) الذي خصص للاحتفاء بالروائي غائب طعمة فرمان في شارع المتنبي وفي مكان التفجير وقدمت فيه مسرحية لخصت روايات وحياة غائب طعمة فرمان، اسهم في تمثيلها عدد كبير من اهم فناني المسرح العراقي، مثل سامي عبد الحميد وسامي قفطان وزهير بدن، وشذى سالم ومحمد هاشم وغيرهم وكانت من تأليف الكاتب المسرحي علي حسين واخراج حيدر منعثر، فضلا عن حلقة دراسية عن الراحل فرمان، تناولت ادبه بالدرس والتحليل اسهم فيها عدد من نقاد وادباء العراق منهم ناجح المعموري واحمد خلف وجلال الماشطة وعلي الفواز وباقر جاسم محمد وسواهم وحضر هذه الفعالية عدد كبير من جمهور المسرح الوطني، ومن المتابعين لكل نشاط ثقافي وفني..ولم تأت هذه الفعاليات (اسقاطاً لفرض) وانما جاءت لتعلن ان الشارع الذي يضم اهم سوق للكتب في الوطن العربي ، وبخصوصيته المعروفة، لن يموت طالما هنالك من يريد له الاستمرار. وعبر الحضور وقتها،عن ان هذه الفعالية هي اهم فعالية شهدها السوق خلال سنواته الطوال.

جانب من احدى فعاليات نهار المدى التي كرست للاحتفاء بشارع المتنبي

تـــوزيع منـحـــة المـــدى عـلـــى مـتـضـــرري الـشـــارع

ونجا الشاهد على الثقافة من الاغتيال

احمد عبد الله
بغداد

شارع المتنبي من الاماكن التي لا تعد تراثية للثقافة العراقية فحسب وانما شاهدا على ماضي وحاضر ومستقبل العراق على مر العصور والعهود السياسية التي مرت على العراق حيث كان وحده الذي يحمل الخطاب الثقافي والسياسي الحقيقي وان كان غير معلن عن نفسه تجاه السلطات المستبدة.

فمنذ انطلقت الكلمات المحرضة والرافضة ووصلت الى شتى اصناف المجتمع، كان هذا الشارع المستقل بذاته لم يستطع احد ان يفرض عليه صفة او هوية محددة تخصه، ووقفت السلطات المستبدة عند اعتابه ولم تستطع وقف دوره.

كان شارع المتنبي مجمع المثقفين والباحثين والطلاب وخاصة في ايام الجمع حيث يغص الشارع برواده الدائمين حتى ان ارصفة الشارع قد لونت بالوان الكتب المعروضة عليه وكل يبحث عن مبتغاه والبعض الاخر يجلس في مقاهيه لتناول الشاي او انتظارا لصديق.

ولكن وللاسف استطاعت يد الارهاب من الوصول اليه بدايةً بشبه عبوة في حقيبة صغيرة الى ان حاول الارهابيون اغتيال الشارع، نعم اغتياله كما تم اغتيال العلماء والمفكرين والاطباء والصحفيين، لقد حاولوا اغتيال شارع المتنبي بتفجير ارهابي في يوم ٥ اذار ٢٠٠٧ بسيارة ملغومة راح ضحيتها مالايقل عن ٣٠ متسوقا وبائعا وادت الى تدمير عدد من المكتبات ومنها المكتبة العصرية دمرت بالكامل وهي من اقدم مكتبات الشارع حيث اسست عام(١٩٠٨) كما دمر مقهى الشابندر الذي يعد من معالم بغداد الثقافية العريقة وتفرقت الاقدام المسرعة هربا واختلطت الدماء بالكتب.

وقد اقامت مؤسسة المدى للثقافة والفنون احتفالية في شارع المتنبي بعدما اعيد افتتاحه وقدمت عرضا مسرحيا شارك فيه عدد من نجوم المسرح العراقي.

تجولنا في اروقة شارع المتنبي لمعرفة مدى الاعمار الذي انجز بعد مرور عام على الحادث الاجرامي فكانت هذه اللقاءات مع اصحاب المكتبات ورواد شارع المتنبي.

مقهى الشابندر: عروض لاعادة الاعمار

الحاج محمد الخشالي صاحب مقهى الشابندر التراثي العريق قال لنا: بعد التفجير الارهابي حضرت لجنة للشارع وصورت الاماكن المتضررة كلا حسب حجم ضرره بقربه من الانفجار وبعده عنه، وعدد الشهداء الحقيقي هو غير المسموع اعلانه من القنوات الفضائية والصحف فقد وصل عددهم الحقيقي الى (٦٨) شهيدا وهناك اماكن تضررت كليا وبعد الكشف من قبل وزارة الثقافة اقرت باعادة الاعمار وتعويض جميع المتضررين ثم اقرالتعمير برئاسة الدكتور برهم صالح والدكتور العيساوي وعهد الامر الى امانة بغداد للتنفيذ وبعد ان اقيم احتفال بافتتاح مشروع التعمير من قبل الدكتور برهم صالح والدكتور العيساوي بوشر بالعمل وكان اعمار مقهى الشابندر التراثية تحت اشراف مديرية التراث وهيئة الاثار وقد انجز في بناية المقهى عمل يقدر ب٥٠٪ وبعدها اوعز للمقاول ان يقتصر التعمير على الواجهات فقط وتعمير المباني الحكومية بالذات. والان العمل مستمر في تعمير الشارع من بداية شارع الرشيد الى نهايته اي الى شارع (حسن باشا) علما ان الانفجار وقع في اخر الشارع، اي قرب شارع (حسن باشا) والاماكن المتضررة في هذا الموقع فقط، والان العمل مستمر لعموم الشارع مع خدمات المجاري والارصفة.

وننتظر ان يسعفونا باتمام احسانهم على المتضررين وذوي الشهداء وتعمير ما تصدع من هذه البيوتات ، على كل حال فان الدكتور صابر العيساوي رجل لاتنكر جهوده وتعميره حيث ان بصمة ابهامه تجدها في جميع انحاء بغداد لذا نرجوا ان يلفت النظر للتعمير الكامل للعموم وهذا ليس عليه بعزيز ونسال الله ان يوفق الجميع.

❖ ماقيمة الاضرار التي لحقت بكم؟

قال:الاضرار المادية هي تدمير مطبعة ابن العربي بالكامل وهي مطبعة تم انشاؤها عام ١٩٦٩ وتحتوي على عشر مكائن، ومقهى الشابندر، وهذا المقهى خدمت فيه لكي يصبح واجهة لبغداد حيث ان الزائر اذا حضر للمقهى يفهم من هو الشعب العراقي وهذا معروف في المقاهي في جميع انحاء العالم حيث انها تعكس عادات وتقاليد مجتمعاتها.

اما الخسائر البشرية فقد فقدت اولادي الاربعة وحفيدي البكر فالمجموع ٥ افراد

وبالمناسبة ولأن مقهى الشابندر مقهى تراثي ومعروف عالميا فقد عرضت علينا مساعدات لاعادة اعمارها من دول اوربية ولكني رفضت لاني عربي وعراقيتي اصيلة.

تكلفة كبيرة

السيد محمد سلمان صاحب مكتبة (عدنان) قال لنا :

تمت اعادة اعمار هذه المكتبة على حسابنا الخاص وكانت الكلفة الاجمالية بحدود ٩ ملايين دينار علما ان هذه البناية تابعة الى امانة بغداد، واود القول ان امانة بغداد بدلاً من ان تقدم لنا المساعدة قامت برفع بدل الايجار السنوي ليصبح مليونا وثلاثمائة الف دينار من ٢٠٠٧/١٠/١

❖ هل تلقيتم دعما من قبل الحكومة؟

. السيد عادل عبد المهدي نائب رئيس الجمهورية قدم لنا مشكورا دعما خاصا لعوائل الشهداء وكذلك مؤسسة المدى قدمت دفعتين لثلاثة اشهر بقيمة ٤٥٠ دولاروالدفعة الثالثة لم نحصل عليه بعد ولانعرف ماالسبب.

* اين الهاتف والكهرباء؟

فوجئنا بطلب ضريبة الهاتف والبالغة ٢٠٠ الف دينار وحين سؤالهم عن الخطوط قالوا لنا انهم سوف يعيدونها للعمل. فما الداعي من الضريبة اذاً قبل اعادة الهواتف وكذلك عدم وجود التيار الكهربائي في الشارع هو في طور الاعمار. بصراحة الاعمار بطيء جدا وشارع المتنبي يبلغ طوله ٣٦٠ مترا ومرت سنة ولم يتم اعماره لا اعرف ما اقول كل ما استطيع ان اقول ان دماء الشهداء راحت هباءً وذهبت الاموال الى المقاولات حيث خصص لاعادة اعمار الشارع مبلغ ٧ مليارات دينار.

رواد المتنبي وسياراتهم!

❖ ماذا عن عودة الحياة الى شارع المتنبي وهل عاد الرواد للتردد عليه؟

-الحركة قليلة جدا وذلك بسبب عدم استطاعتهم الوصول بسياراتهم فان معظم الاصدقاء يتصلون بي هاتفيا ويقولون اين نضع سياراتنا وكيف ندخل الى الشارع وهذه الاعمال تنجز من حفريات وانقاض وركام. لقد وصلتني منذ الصباح بضاعة من بيروت ولكن سيارة الحمل لاتستطيع الدخول لان افراد الصحوة يمنعون دخول السيارات فكيف تصل البضاعة اذا للمكتبات؟!

❖ ماهي المطالب التي تودون ان تصل من منبر المدى الى الجهات المختصة؟ مطالبنا تتحدد بما ياتي

١- الاسراع باعادة اعمار الشارع.

٢- تسهيل عملية دخول وخروج البضائع من والى الشارع وتسهيل حركة الرواد.

٣. دعم مادي من قبل الحكومة عن طريق قروض ميسرة تسدد على دفعات بضمان المحلات.

٤. تأمين الحماية الى الشارع تلافيا لتعرضه الى ضربة اخرى

امانة بغداد واكمال المكتبات

هل عاد سوق الجمعة

والتقينا السيد محمد طه محمد صالح وهو يعمل في المكتبة القانونية حيث قال: عن عودة الحياة الى سوق الجمعة:

- لا حركة الرواد قليلة وذلك بسبب الانفجار وتسرب الكثير من اصحاب البسطيات والمكتبات الى انحاء متفرقة من بغداد وطول فترة الاعمار وحظر التجوال الذي كان قائما سابقا في ايام الجمع هذه العوامل كلها جعلت من يروم شراء الكتب يعاني مايعاني للوصول الى هذا الشارع. انظر بنفسك الى الحفريات والى الركام فاصبح الزائر يذهب الى مكتبات متفرقة في باب المعظم وساحة التحرير وبسبب كثرة الانفجارات التي تحدث ايام الجمع اصبح الخوف سائدا فاصبحت فحركة سوق الجمعة ليست قليلة فقط بل اقل من القليلة.

* ماهي مطالبكم؟

١- الاسراع في الاعمار.

٢- توفير الامان لاصحاب المكتبات والرواد.

٣- عدم زيادة الايجار من قبل امانة بغداد.

وفي طريق خروجنا من شارع المتنبي وخاصة من منطقة الانفجار شاهدنا عمارة بالكامل لاتزال محترقة ومهدمة الجدران وعندما سألنا عن سبب عدم اعادة اعمار هذه البناية كان الجواب بانها اهلية وليست تابعة لامانة بغداد!!

مقهى الشابندر

حياة رغم كل شي